



تمر الثورة السورية العظيمة بمراحل موجز؛ ففي المد نتفاءل؛ وفي الجزر نتشاءم؛ وذلك حال الطبيعة البشرية التي لا تبني استراتيجيةها وسياساتها على أساس واقعية، ولا على معطى قانون حركة التاريخ؛ علمًا بأن قانون حركة التاريخ منذ نشأة الاستبداد تاريخياً؛ ما حدثنا عن ثورة شعب طلب الحرية فانكسرت أو اندحرت!.

وأنا متفائل جدًا بانتصار الثورة؛ وذلك ليس مبنياً على أحلام وأمناني؛ ولا أبيع الوهم للمساكين والمستضعفين؛ كما فعل كثير من دهاقنة السياسة في المعارضة؛ إنما لواقع ومعطيات جدية؛ تؤشر على قرب نهاية هذا النظام، إضافة لإيماني أن سنة الله سبحانه وتعالى؛ تأبى أن تقف مع المستبددين ضد المستضعفين. ولكنها تتأخر للتحميس والتميز في صفوف الثنرين، فتصوروا لو أن الثورة انتصرت في السنة الأولى أو الثانية أو الثالثة من كان سيتصدرها أو يتصادرها؟!. ما أود الحديث عنه في هذا المقال؛ الأمل الذي يجب أن تنشره قلوبنا وعقولنا رغم غصاتنا وألامنا وجراحنا الناتجة عن الثمن الكبير الذي قدمه الشعب السوري في مطالبه بالحرية والكرامة، وهم مطلب الثورة التي لن تحيد عنه. وسأحاول أن أقدم الأمل من خلال النص الديني والواقع التاريخي وعلم الاجتماع؛
لماذا يجب علينا أن نؤمن باحتمالية انتصار الثورة؟

تعالوا لاستعراض لماذا...من خلال الأسس الثلاثة التي اعتمدتها:
يقول تعالى:(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا): هنا نكتة بلاغية لغوية...وهي أن النكارة إذا عُرِفت لا تتميز ولا تتعدد...كيف:
الله سبحانه وتعالى عَرَفَ العُسْرَ لِكَيْ يَكُونَ عُسْرًا وَاحِدًا، وَنُكِرَ الْيُسْرَ لِكَيْ يَكُونَ أَشْكَالًا وَصَنْوَفًا وَأَلْوَانًا مُتَعَدِّدَة، وَالْفَرْجُ حِينَما يَأْتِي؛ يَأْتِي بِكُلِّ مَا يَسْعُدُ الْمُؤْمِنَ بِعَدْلَةِ قَضْيَتِهِ.
وَاتَّبَعَهُ لَمْ يَقُلْ إِنْ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا... وَلَلأسف هَذَا نَفْهُمَهَا. إِنَّمَا قَالَ (مَع) وَهَذِهِ لَغَةً (حَالِيَةً)... لِيُمْنَحَ الْأَمْلُ، وَلِيُؤَكَّدَ لَكَ أَنْ

الفرج؛ يأتي عندما يبلغ العسر قمته. فالأمل يخرج من رحم اليأس والألم ليغله.

ويمكن أن نشهد ذلك بحالة المخاض للمرأة التي تأتي مع الولادة. ففي عز ألم المخاض تأتي الولادة لتفريج الألم... وتنسى الألم المخاض. وإليك مثالاً من سيرة العظيم محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة وفي أقصى موقعه مع المستكرين، حاصرتهم أحزاب المشركين وغدر بهم اليهود؛ وتخلى عنهم المنافقون والمرجفون، ولكن رسول الله ومن معه؛ لم ييأسوا من فرج الله. بل أخذوا بالأسباب وحرقوا الخندق. لذلك كان الله معهم فأرسل لهم رحمة، هزمت المشركين، وكفت المؤمنين القتال وجاء النصر.

إن منطق التاريخ يقول لنا:

لم تتعرض أمة لويادات وحروب وإحباطات؛ كما تعرضت الأمة العربية؛ وكانت دائماً تخرج منتصرة، لتعود أقوى مما كانت في عز الاستبداد الأموي واليأس من الإصلاح؛ جاء عمر بن عبد العزيز. وفي قمة الخراب العباسي وانعدام العدالة الاجتماعية جاء هارون الرشيد؛ ورغم كل ويلات الصليبيين ظهر صلاح الدين.

لقد عاث التتار في الأمة فساداً... وألقوا بتراثها في دجلة، وأرادوا قهر هويتها العروبية وشخصيتها الإسلامية!؛ ولم تيأس ولم تنهزم... فإذا بإيمان الأمة يهزم عسيرة التتار ليدخلوا الإسلام... وهذا حدث نادر في التاريخ؛ أن يخرج المستعمر حاملاً ثقافتك ومؤمناً بعقيدتك؛ لم يتكرر تاريخياً على الأطلاق؛ بل العكس هو ما حدث في غير الأمة العربية.

وجاء الصليبيون بحقدتهم ودمويتهم؛ ووصلوا القدس، وذبحوا في يوم واحد سبعين ألف فلسطيني، وحولوا المسجد الأقصى إلى إسطبل لخيولهم!؛ ولكن الأمة المتمسكة بهويتها وال المتعلقة بعقيدتها والمؤمنة برسالتها. والواثقة بوعدها بعد مئتي سنة لم تيأس وانتصرت عليهم.

وأختم كلامي لأنفت النظر إلى قضية مهمة جداً؛ تتعلق بعلم الاجتماع والقوانين الاجتماعية تحديداً - وهي لا تخرق ولا تقبل المعجزات إطلاقاً - العسر والتعثر والوهن؛ قضية سببية لنا الدور الأكبر فيها، وليس قدرية كما نخدر أنفسنا بها؛ فيقوم أعضاء السلك الديني من مشايخ السلاطين؛ ليخردوا المجتمع بفلسفتهم لها، والفارق كبير ومهم، واقرأ قوله تعالى (أَوَلَمْ أَصَابْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّنْهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ) عمران/165

كونوا على ثقة؛ لن يهزم المجتمع السوري؛ في ثورته؛ ولا تخافوا على الثورة، بل خافوا على أنفسكم من أن يفتنكم تعثرها، فتسقطوا في مستنقع الاستسلام؛ إنما هو مقبل على نصر. كل قوى الاستكبار العالمي حاولت على مدار أربع سنوات أن تجهضه؛ وفشلت؛ إنها الثورة التي ستكون أعظم ثورات التاريخ؛ وستُدرس في كل مراكز الأبحاث العالمية كيف انتصر شعب أعزل؛ على مكر العالم كله؛ وسيتحقق ذلك وستصبحون يوماً ما، قريباً وليس بعيداً على نصر؛ وإن أردتم أن تتأكدوا أقرؤوا حال النظام بفرسه ومجوسه وروسه وشيعته ومرتزقتها؛ كيف يندحر على الأرض.

المصادر: